

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الرابعة والعشرون بعد المائة

ابن تيمية (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأولين والآخرين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع حياة علم من أعلام الإسلام ، ممن برع ي حداثة سنه ، ففاق أقرانه ، وأعجب أهل زمانه .

إنه شيخ الإسلام تقي الدين أبوا العباس أحمد بن تيمية رحمه الله ، كان مولده عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة وقرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرس وله نحو العشرين سنة .

إنه أنموذج رائع لشباب الإسلام أن يبلغ الشاب هذه المنزلة من المكانة في العلم وهو في هذه المرحلة من العمر . وهذا الأنموذج من الشباب يعطي درساً لمن لا يقدر الشباب فلا يعيرهم اهتماماً نظراً لصغر السن أو قلة التجربة في الحياة ، إن الشباب يملكون من المواهب والقدرات ما يمكنهم من بلوغ المنزلة العلية في العلم والعمل ، بخاصة إذا أمكن الاستفادة مما لديهم من قدرات ومواهب وتوجيهها الوجهة الصحيحة .

برع شيخ الإسلام وصنف التصانيف وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه وكان يتوقد ذكاء، وسماعاته من الحديث كثيرة وشيوخه أكثر من مائتي شيخ ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يلحق فيه ، وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلاً عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير، وأما

معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا يعلم له فيه نظير، وعربيته قوية جداً ومعرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب.

وأما شجاعته وجهاده وإقدامه فأمر يتجاوز الوصف ويفوق النعت وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يضرب بهم المثل وفيه زهد وقناعة باليسير في المأكل والملبس.

هذا كله بعد توفيق الله سبحانه وتعالى له نتيجة لما كان عليه في بداية عمره من الجِد والاجتهاد والالتفات إلى معالي الأمور ، فقد قرأ وحصل وبرع في الحديث والفقه وتأهل للتدريس والفتوى وهو ابن سبع عشرة سنة.

وتقدم في علم التفسير والأصول وجميع علوم الإسلام أصولها وفروعها ودقها وجلها سوى علم القراءات فإن ذكر التفسير فهو حامل لوائه، وإن عد الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق، وإن حضر الحفاظ نطق وخرسوا، وسرد وأبلسوا، واستغنى وأفلسوا، وإن سمي المتكلمون فهو فردهم وإليه مرجعهم وإن لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة فلهم وهتك أستارهم وكشف عوارهم وله يد طولى في معرفة العربية والصرف واللغة .

وكان رأساً في العلم وصاحب جد في الحق والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ومعرفة بفنون الحديث وبالعلي والنازل وبالصحيح والسقيم مع حفظه لمتونه الذي انفرد به فلا يبلغ أحد في العصر رتبته ولا يقاربه، وهو عجب في استحضاره واستخراج الحجج منه وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه أن يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ولكن الإحاطة لله غير أنه يغترف من بحر وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي وأما التفسير فمسلم إليه وله في استحضار الآيات من القرآن وقت إقامة الدليل بما على المسألة قوة عجيبة وإذا رآه المقرئ تحير فيه ولفطر إمامته في التفسير وعظمة اطلاعه يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين ويوهي أقوالاً عديدة وينصر قولاً واحداً موافقاً لما دل عليه القرآن والحديث ويكتب في اليوم والليل من التفسير أو من الفقه أو من الأصول أو من الرد على الفلاسفة والأوائل نحواً من أربعة كراريس أو أزيد .

كانت مخايل النجابة عليه في صغره لائحة، ودلائل العناية فيه واضحة ، كان الشيخ رضي الله عنه في حال صغره إذا أراد المضي إلى المكتب يعترضه يهودي كان منزله بطريقه بمسائل يسأله عنها، لما كان يلوح عليه من الذكاء والفطنة وكان يجيبه عنها سريعا حتى تعجب منه ثم إنه صار كلما اجتاز به يخبره بأشياء مما يدل على بطلان ما هو عليه فلم يلبث أن أسلم وحسن إسلامه وكان ذلك بدعوة الشيخ على صغر سنه .

فعجباً لهذا الداعية الصغير الذي ما زال في حداثة سنه ، وبداية طلبه يسلم على يده ذلك اليهودي لما وجد عنده من العلم والحكمة ، فالدعوة الإسلامية ليست مقصورة على الكبار فحسب أو على أهل العلم ، بل كل يدعو بحسبه وعلى قدر ما عنده ولا يتجاوز حده ، فكم في التاريخ الإسلامي من الدعاة الصغار الذين كتب الله في دعوتهم الخير الكثير ، فإلى أبناءنا وشبابنا نقول إن طريق الدعوة لكم مفتوحة ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأبشروا بالخير الذي وعد به الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ومن ذلك قوله "لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم" .

لم يزل الفتى ابن تيمية منذ أبان صغره مستغرق الأوقات في الجهد والاجتهاد، وختم القرآن صغيراً ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية حتى برع في ذلك مع ملازمة مجالس العلم وسماع الأحاديث والآثار ولقد سمع غير كتاب على غير شيخ من ذوي الروايات الصحيحة العالية أما دواوين الإسلام الكبار كمسند أحمد وصحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذي وسنن أبي داود السجستاني والنسائي وابن ماجه والدارقطني فإنه رحمه الله ورضي عنهم وعنه فإنه سمع كل واحد منها عدة مرات وأول كتاب حفظه في الحديث الجمع بين الصحيحين للإمام الحميدي وقل كتاب من فنون العلم إلا وقف عليه.

وكان ابن تيمية ( رحمه الله ) قد خصه الله بسرعة الحفظ وإبطاء النسيان لم يكن يقف على شيء أو يستمع لشيء غالباً إلا ويبقى على خاطره أما بلفظه أو معناه وكان

العلم كأنه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره فإنه لم يكن له مستعارا بل كان له شعارا ودثارا لم يزل آباؤه أهل الدراية التامة والنقد والقدم الراسخة في الفضل لكن جمع الله له ما خرق بمثله العادة ووفقه في جميع أمره لإعلام السعادة وجعل مآثره لإمامته من أكبر شهادة.

وهنا توجيه إلى شباب الأمة الإسلامية بأن ينظروا في حال ابن تيمية وأمثاله في جدهم واجتهادهم في الجد بالقراءة وطلب العلم النافع ، فإن هذه المرحلة من العمر هي مرحلة القوة والتحصيل ويتوفر للشباب فيها من القوة والوقت ما لم يتوفر له في مستقبل عمره.

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.